يجوز وجهان احدهما ان يكون في الكلام التفات من الخطاب في قوله ما انتم عليه الى الغيبة في قوله يرجعون
والثاني ان يكون قوله ما انتم عليه خطابا عاما لكل احد ويكون الضمير في يرجعون للمنافقين خاصة فلا
التفات ح والمصنف اشار الى هذا الوجه بقوله ما انتم عليه ايها المكلفون وقوله ويوم يرجع المنافقون
اليه والى الاول بقوله ويجوز اي انتهى ما يتعلق بسورة النور وهذا اوان الشروع فيما يتعلق بسورة
الفرقان وهي مكية غير آية نزلت بالطايف وهي قوله تعالى الم تر الى ربك كيف مد الظل
بسم الله الرحمن الرحيم قوله تكاثر خيره قال تعالى وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها اي لا تحصوا اجناسها فضلا
عن افرادها فعلى هذا المعنى لابد من تقدير المضاف اي تبارك خير الذي ولا حاجة اليه على المعنى الثاني
قوله او تزايد على كل شيء وتعالى عنه في صفاته وافعاله قال تعالى ليس كمثله شيء فالعبد وان له حظ
من صفاته تعالى وافعاله الا ان ما لهم من الصفات والافعال لا يماثل شيئا مما له تعالى وذلك معلوم ببداية
العقول قوله وترتيبه على انزال الفرقان اي تعليله به فان تعليق التبارك بوصف الانزال يشعر
بعلية ذلك الوصف له وكونه مرتبا عليه وقوله لما فيه من كثرة الخير مبني على تفسير تبارك بقوله تكاثر
خيره وقوله او لدلالته على تعاليه مبني على تفسيره بقوله او تزايد على كل شيء قوله وقيل دام عطف
على قوله تكاثر بمعنى قيل الكلمة مأخوذة من بروك البعير وبروك الطير على الماء فتدل على البقاء والدوام
والمعنى انه تعالى باق في ذاته ازلا وابدا ممتنع التغير وباق في صفاته ممتنع التبدل لم يرض به لان
ترتيبه على انزال الفرقان لا يلايم هذا المعنى فان قيل الموصولات موضوعة لان يطلقها المتكلم
على ما يعتقد ان المخاطب يعرفه بكونه محكوما عليه بحكم حاصل له فلذلك كانت معارف والقوم كانوا
يعرفون انه تعالى هو الذي نزل الفرقان فكيف حسن ههنا لفظ الذي اجيب بانه لما ثبت كونه من عند
الله تعالى بكونه معجزا بالغا الى اقصى درجات البلاغة والفصاحة نزل الله تعالى منزلة المعلوم للقوم بناء
على قوة دليله وظهوره وهذا توضيح قوله وهذه الجملة وان لم تكن معلومة الخ قوله الجن والانس ان
لجميع افراد كل واحد من الجنسين اشار به الى فائدة جمع العالمين مع تعريفه فان العالم اسم للقدر المشترك
بين اجناس ما يعلم به الخالق مما سوى الله تعالى فيطلق على كل واحد منها وعلى مجموعها فجمع للدلالة على تعدد
الاجناس وعلى استغراق افراد كل واحد منها اذ لو افرد منكرا لعم واحدا من تلك الاجناس ولو افرد معرفا
لتوهم ان القصد الى استغراق جنس واحد او الى الحقيقة التي هي القدر المشترك بين تلك الاجناس ولو جمع
منكرا

منكرا لم يكن نصا في الاستغراق للاختلاف في استغراق الجمع المنكر وجمع بالواو والنون لان المقصود استغراق
افراد العقلاء من جنسي الجن والانس فان جنس الملائكة وان كان من جملة اجناس العالم الا ان النبي صلى الله
عليه وسلم لم يكن ارسل الى الملائكة فلم يبق من العالمين المكلفين الا الجن والانس فهو عليه السلام رسول
اليهما جميعا فالآية حجة لابي حنيفة رحمه الله في قوله ليس للجن ثواب اذا اطاعوا سوى النجاة من العقاب
ولهم عقاب اذا عصوا حيث اكتفى بقوله ليكون للعالمين نذيرا ولم يذكر البشارة ودليله قوله
تعالى يا قومنا اجيبوا داعي الله وآمنوا به يغفر لكم من ذنوبكم ويجركم من عذاب اليم جعل ثوابهم
نجاتهم من العذاب الاليم على تقدير العصيان ولم يذكر ثوابا غيره وذكر لهم عقاب العصيان
قوله منذرا او انذارا الاول على تقدير ان يكون ضمير قوله ليكون للعبد والثاني على ان الضمير للفرقان
اي لتنزيله المدلول عليه بقوله نزل فكانه قيل ليكون تنزيله انذارا للعالمين لان الفرقان
نفسه لا يكون انذارا قوله بدل من الاول فان قيل كيف جاز الفصل بين البدل وبين المبدل منه
بقوله ليكون للعالمين نذيرا فالجواب انه ما فصل بينهما بشيء اجنبي عن الكلام لان المبدل منه صلته
نزل وقوله ليكون تعليل له فكان المبدل منه لا يتم الا به قوله احداثا مراعى فيه التقدير
يعني ان الخلق هو الاحداث المتفرع على التقدير والتسوية في علم الصانع فان الصانع اذا
لم يقدر مصنوعه في علمه قبل الايجاد بما يقع فيه بعد الايجاد تفاوت بالزيادة على ما به كماله او
بالنقصان عن حد فيه تمامه ولما كانت الآية مظنة ان يقال قوله فقدره تكرار بناء على ان
الخلق فيه معنى التقدير فكانه قيل وقدر كل شيء فقدره اشار الى دفعه اولا بقوله فقدره
وهيأه لما اراد منه وتحصيله ان التقدير المدلول عليه بقوله خلق غير التقدير المتفرع عليه بالفاء
فان الاول عبارة عن تسوية المحدث في علمه الازلي لما اوجبته الحكمة بتعيين مادته وصورته و
ما يتعلق به من العوارض المكتنفة به حال وجوده كما يسوي الصانع صورة المصنوع قبل ان يباشر
صنعه والتقدير المتفرع على الخلق عبارة عن تهيئته لما يصلح له من المصالح المترتبة على وجوده
فلا تكرار فكانه قيل واوجد كل شيء على تقدير اوجبته الحكمة وقدر له ما يصلحه ويقيمه وما يراد هو منه
من الخصايص والافعال وثانيا بقوله او فقدره للبقاء الى اجل مسمى والتقدير بهذا المعنى ايضا
متفرع على الخلق بمعنى الاحداث المراعى فيه التقدير والتسوية لما تقتضيه الحكمة لان ابقاء الشيء

Copyright © King Saud University